ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 08، العدد: 01 (2023) ص01 -15

الوجه الآخر للتفكيك في النقد الجزائري المعاصر قراءة في المسألة الثقافية الجزائرية في كتاب "رنين الحداثة" لبختي بن عودة

The other side of the dismantling of contemporary Algerian criticism is a reading of the Algerian cultural issue in Bakhti Ben Odeh's "Ringing modernity"

عنترة عمير*
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
antara.amieur@univ-alger2.dz

علي ملاحي
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
doc_ali@haatmail.fr

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/04/20
تاريخ القبول:
2022/11/20
تاريخ النشر :
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التفكيك
- ✓ نقد الهوية
- ✓ الأشباح
- ✓ بختي بن عودة
- ✓ جاك دريدا

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة استراتيجية التفكيك، من خلال الناقد الجزائري"بختي بن عودة" وما طرحه في ذلك من تصورات حول: فكرتي الأشباح ونقد الهوية على سبيل المثال، متوخيا البحث عن الهوية الثقافية الجزائرية وإبراز المسألة الثقافية عموما، متبنيا بعض مقولات المنهج التفكيكي مستعيرا أدواته الإجرائية من الناقد التفكيكي الفرنسي"جاك دريدا Jack Dreda" محاولا إبراز أهم المقولات التفكيكية بهدف تأسيس مشروع نقدي أصيل دون الوقوع في التعميم والمغالاة، مرتكزا في مناظرته النقدية على ما أفرزته الحداثة الغربية، مسائلا ومجادلا فكر ما بعد الحداثة في نوع من الإثارة الواضحة، وفي كتابه "رنين الحداثة" الكثير مما أثاره من قضايا نقدية مهمة تكشف لنا وجها آخرا للتفكيك. وفي هذا النسق نسعى للقول: بماذا تميزت رؤية بختي بن عودة التفكيكية؟ وما الغاية بانتقاله من تفكيك اللغة والنص إلى تفكيك الفكر والعقل والمجتمع؟.

Article info

Received
20/04/2022
Accepted
20/11/2022

Keywords
- ✓ *Dismantling*
- ✓ *Identity criticism*
- ✓ *Ghosts*
- ✓ *Bakhti Bin Odeh*

Abstract :

This study aims to address the strategy of dismantling, through the Algerian critic "Bakhti Ben Odeh" and the perceptions he put forward about: the ideas of ghosts and the criticism of identity, for example, aiming to search for Algerian cultural identity and highlight the cultural issue in general, adopting some sayings The dissociative approach borrowed its procedural tools from the French dismantling critic Jacques Dreda, trying to highlight the most important dissociative sayings with the aim of establishing an authentic monetary project without falling into generalization and exaggeration, based on its critical debate on what Western modernity has produced issues and controversies of postmodern thought in a kind of obvious excitement, and in his book The Ring of Modernity, many of the important critical issues it has raised reveal another facet of dismantling. In this context, we seek to say: What was the characteristic of Bakhti Bin Odeh's vision of dismantling? What is the purpose of his transition from dismantling language and text to dismantling thought, reason and society?

* عنترة عمير

1.مقدمة:

شهد الخطاب النقدي الجزائري منذ ثمانينيات القرن الماضي العديد من التحولات التي جعلته يتحرر بشكل بارز من القيود النقدية التقليدية، متطلعا إلى مسايرة العولمة، ولعل من بينها تلك الجهود التي قدمها بعض الباحثين والطلبة الشبان بعد عودتهم من خارج الجزائر أو احتكاكهم ببعض النقاد العرب والأجانب على نحو ما متأثرين بما حملته جعبتهم من بعض الدراسات الغربية الأوربية والأمريكية المتصلة بالنقد الجديد والمناهج النسقية، والمندرجة تحت تيار ما بعد الحداثة، وقد بدا تأثرهم بها واضحا، خاصة ما يتعلق بفلسفة التفكيك والتأويل والنقد الثقافي والكولونيالية وما بعدها والنسوية وما بعدها وغيرها، معتمدين على الترجمة، ونقل ثقافة الآخر والتنظير لها والبحث عما يقابلها في الوطن العربي(وغليسي يوسف ،2002،ص164).

مع تطور فلسفة الحداثة، وفي سياق بروز عدد هام من الأسماء النقدية الجزائرية التي تبنت النزعة النقدية النسقية، برز الناقد "بختي بن عودة" مع منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، حاملا في جعبته ثقافة النقد التفكيكي، وقد وجد فيه مفاهيم جديدة، رأى أنها تتلاءم مع الاختلاف الثقافي الكبير الذي تتميز به الجزائر، بما في ذلك التعدد الثقافي ومرجعيات الهوية وتحولات الكتابة والأسئلة الثقافية المغايرة في المجتمع الجزائري وغيرها، مستعينا في رؤيته المغايرة هذه باستراتيجيات التفكيك وآلياته على النحو الذي جاءت به تفكيكية جاك دريدا، والتي لم يتردد بحتي بن عودة حسب محمد البنكي في استعارة أهم مقولاته منها، مثل ذلك فكرة الأشباح ونقد الهوية وغيرهما، وهو ما يبرزه بقوله:«إن جدوى دريدا التي يشهرها في وجهنا بختي بن عودة، جدوى تشعر بالاحتفائية والانجذاب انحيازا إلى قيم النقدية والتفكيك، مادام دريدا هو› المثل الساطع والقوي‹للاختلاف الذي يطال اللغة والكائن، وما دامت الكتابة الدريدية ذات "بنية إعجازية"، والكتابات التي تستلهم دريدا بشكل أساسي ككتابة الخطيبي هي "اجتهادات تفكيكية تأسيسية ورائدة في استثمار حقول ومناهج حديثة وفي فتح أفق مغاير في راهن الثقافة"»(أحمد البنكي محمد ،2005،ص336).

للإحاطة أكثر بموضوع البحث واشكاليته المطروحة لابد من تقديم لمحة عن الحداثة وما بعدها وإبراز الأواصر القوية التي تجمع التفكيك بهذين التيارين المتتابعين والمتناقضين في الآن ذاته، ثم الوقوف عند تفكيكية بختي بن عودة من خلال طرح بعض القضايا التي تناولها في كتابه "رنين الحداثة" الذي جمع بعد وفاته-رحمه الله- وما قدمه من مقولات، باعتباره تبنى تفكيكية جاك دريدا وحاول تبرير اعتمادها في النقد الجزائري كمنهج قائم بذاته.

نتساءل ما الجديد الذي قدمه بختي بن عودة بنقده التفكيكي وما طبيعة التفكيك عنده؟ وماهي أهم استراتيجيات التفكيك ومقولاته التي طبقها في مشروعه النقدي ؟.

2. لمحة عن الحداثة وما بعد الحداثة:

إن المتتبع لتياري الحداثة وما بعدها، يتبين له أنهما شغلا منذ ظهورهما إلى اليوم اهتمام جل الفلاسفة والنقاد والمفكرين المعاصرين،كونهما متلازمين من حيث النشأة والمبدأ، فلا يمكن الخوض والولوج إلى فلسفة ما بعد الحداثة والوصول إلى أعماقها وجذورها وسبر أغوارها، إلا بالرجوع إلى تيار وفلسفة الحداثة، سواء أكانت الحداثة تمهد لظهور ما بعد الحداثة، أو كانت ما بعد الحداثة تعارضها وتناقضها، فهما مرتبطان في كل حال من الأحوال، والدليل على ذلك «... أن الحركة التي تسمى مابعد الحداثة لا تعتبر تجربة تحدث خارج الحداثة وبعدها، وإنما هي تفقُّد للحداثة ومراجعة لها، والقيام بنوع من النقد الذاتي، واستكمال مشروعها، بعدما فشلت خيارات الانفصال والانكسار والقطيعة والنبذ والإقصاء والاستبعاد...»(الخويلدي زهير وآخرون،2013ص22).

جاءت فلسفة الحداثة كتيار فكري غربي لمناهضة كل ماهو قديم وتراثي، فهي ترادف العصري والجديد،كما أنها قامت بثورة على مستوى المفاهيم، وتمظهرت في مستويات متعددة ونشاطات معرفية مختلفة،

مثل(العلم، الفن،الأخلاق)، وتجاوزت المفهوم الجوهري الموحد للعقل، والمتوارث عن التراث الميتافيزيقي. ويجمع أغلب الفلاسفة والمفكرين أنه لا توجد دلالة واضحة للحداثة، فمصطلح الحداثة كما عرفه "بودلير Baudelaire" بتعريفه الشهير:«إن الحداثة هي العابر والآبق والجائز، إنها نصف الفن الذي تجد نصفه الآخر في الثابت والقار»، (مهنانة إسماعيل ،2014،ص102)،فهي الشيء الوهمي والغامض والمتناقض في الوقت ذاته، وذلك لأسباب منها:« رفضها التقاليد، ومعارضة الثقافة البورجوازية، وثورتها على نفسها بصورة مستمرة»(شحيد جمال و القصاب وليد ،2005،ص184-185)، ولعل السبب الأخير أي الثورة على نفسها، ما يجعلنا لا نستطيع ضبط مفهوم محدد ونهائي للحداثة، فهي لا تدخل حيز التحديث إلا إذا ناقضت نفسها واستمرت في مواجهة الأزمات والتناقضات على الدوام.(مهنانة إسماعيل ،2014،ص102).

بقيت الحداثة - وذلك شأنها - إلى غاية نهايتها- مع ظهور ما بعد الحداثة بصفتها نقيضا لها، والتي سعت إلى تقويض كل مقولات الحداثة مثل الميتافيزيقا الغربية وتحطيم المقولات المركزية وغيرها من المقولات التي هيمنت على الفكر الغربي كاللغة والهوية والأصل والصوت وغير ذلك .

انتشرت نظريات ما بعد الحداثة بهذا الشكل، ونالت رواجا كبيرا في العالم الغربي وذلك منذ عام1970 تقريبا من القرن الماضي، وقد اختلف الفلاسفة والنقاد في وضع مفهوم محدد لها هي الأخرى، إلا أن أغلبهم اتفقوا على أنها تيار فكري ما بعد حداثي تناهض فلسفة وفكر الحداثة وتعمل على نقض مقولاتها على الدوام، وقد جاءت بمرتكزات تعاكسها تماما، و هو ما ذهب إليه "عبد السلام بن عبد العالي"و"محمد سبيلا"حين أقرا أن:« ...ما بعد الحداثة ليست إلا استمرارا نقديا للحداثة، وأن الحداثة نفسها ليست خصائص ومميزات وإنما حركة انفصال لا تكفّ عن الإبتداء»(سبيلا محمد و بن عبد العالي عبد السلام ،2007،ص5).

هذا المنطق يؤكد أن ما بعد الحداثة جاءت أصلا من أجل نقد الحداثة ومعارضتها، إنها استمرار لها ولكن بطريقة تخالفها وتعمد إلى كسرها على الدوام، إذ يعرفها" تيري إيجلتون Terry Eagleton "بقوله:«يشير مصطلح مابعد الحداثة ...، إلى مرحلة تاريخية مخصوصة...فمابعد الحداثة هي أسلوب في الفكر يبدي ارتيابا بالأفكار والتصورات الكلاسيكية، كفكرة الحقيقة والعقل والهوية، والموضوعية والتقدم أو الانعتاق الكوني، والأطر الأحادية، والسرديات الكبرى، أو الأسس النهائية للتفسيرّ، وهي ترى العالم بخلاف معايير التنوير هذه، بوصفه طارئا عرضيا بلا أساس متباينا، بعيدا عن الثبات، وبعيدا عن الحتمية والقطيعة، وبوصفه مجموعة من الثقافات أو التأويلات الخلافية التي تولد قدرا من الارتياب حيال موضوعية الحقيقة والتاريخ والمعايير، والطبائع المتعينة والهويات المتماسكة»(المرجع السابق ،2007،ص10).

ما بعد الحداثة عند تيري إيجلتون طريقة وأسلوب في الفكر يتضمن محتواها التشكيك في الحقيقة المطلقة والعقل والهوية والموضوعية وغيرها، وفي هذا تأكيد بأن مابعد الحداثة نقض لمرتكزات ومبادئ الحداثة، التي تقوم عليها والمتمثلة في العناصر المذكورة سابقا، ومن بينها الحقيقة المطلقة وكذا العقل والهوية، والعمل على معاكستها والتشكيك فيها، كما أن ما بعد الحداثة ترى العالم مجموعة من الثقافات والتأويلات البعيدة عن الحقيقة والتي تحمل ارتيابات تجاه كل ما هو حقيقي وثابت ومتماسك، و فيها دعوة للاختلاف والتشظي والتفتّت، وهذا ما جعل من التفكيك أبرز عناصرها«...عصر ما بعد الحداثة هو ردة فعل ضد عصر الحداثة، أي ضد تمجيد النزعات الوضعية والتقنية، والعقلانية...ما بعد الحداثة بكونه عصر التنوع والاختلاف والتشظي والتفتّت...وهو الأمر الذي أكد عليه "هارفي" نفسه حين قال: « التشظي واللاتحديد والتحفّظ الشديد من كلية وشمولية الخطاب، تلك هي السمات المميزة لفكر ما بعد الحداثة»(الشيخ محمد و الطائري ياسر 1996،ص11).

هذا ما اشتهرت به فلسفة ما بعد الحداثة في العالم الغربي مهدها ومنشؤها، فأغلب المنظرّين لها والفلاسفة المشتغلين عليها يجمعون أنها ضد تيار الحداثة، وأنها تتصف بالتعدد والاختلاف ولا تقتنع بالمعنى الواحد وتقوم على مبدأ التشكيك والتشظي ولاتؤمن بالنزعات الوضعية والحقيقة المطلقة، كما أن لفلسفة ما بعد الحداثة العديد من المرتكزات التي تستند إليها وذلك من خلال السياق الذي ظهرت فيه، والمرتبط بظهور الرأسمالية الغربية ووسائل الإعلام وكذا الرّد على البنيوية اللسانية، وانتقاد العقل الغربي، وفضح إيديولوجياته البيضاء، ومن بين هذه المرتكزات: التفكيك والتقويض، التشكيك في الحقيقة، نقد الهوية، والفلسفة العدمية، والتناص وغيرها.(كارتر دفيد ،2010،ص130/131).

إذا كان ولابد أن نعاين فلسفة التفكيك في النقد العربي، فالواجب الإقرار بتأثر العالم العربي بتيار وفلسفة ما بعد الحداثة في شتى المجالات وخاصة في مجالي الأدب والنقد، والشأن ذاته فيما يتعلق بتلقي المناهج والمصطلحات النقدية الغربية الوافدة بفعل الترجمة والإطلاع على ثقافة الآخر، ومع أن أبرز سمات ما بعد الحداثة هي الاعتراض والثورة على الحداثة فان بعض النقاد والمفكرين العرب من جهة أخرى مازالوا يخوضون في تيار الحداثة وعناصرها، وقد تفاجأوا – على مضض - بتيار جديد يهاجم ما هم منشغلين به من فلسفة الحداثة، ويدعو إلى التشكيك في الأصول و الأصالة في الأدب، متحمسا لإزالة الحدود بين الأجناس الأدبية وكذا بين الأشكال الفنية وبين نظرية الأدب والأدب نفسه، وبين ما يدعى بالأدب الرفيع وبين ثقافات الإعلام الجماهيري وجعل فكرة الاختلاف فكرة أساسية، إذ تعتبر هذه المستويات الركائز الأساسية لما بعد الحداثة، والتي جاءت لمناظرة مقولات الحداثة والثورة على عناصرها عنصرا عنصرا وهذا ما جعل النقد العربي المعاصر عالقا بين مقولات التيارين (الرويلي ميجان و البازعي سعد ،2002،ص228/227) .

انطلاقا من أن التفكيك من أبرز الإستراتيجيات والفلسفات التي ارتبطت بفكر وفلسفة مابعد الحداثة، فقد وجه النقاد العرب نقدهم التفكيكي وطبقوه على النصوص بغية الوصول إلى تأويل المعنى، واقتنعوا بالتنظير له وتطبيق آلياته الإجرائية على النصوص العربية، حتى غدا شغلهم الشاغل الذي يبحثون فيه عن ما يقابله في النقد العربي المعاصر بداية من ترجمة المصطلح إلى استعمال أدواته واعتمادها في دراسة وتحليل ومقاربة النصوص العربية، كما هو الشأن لفكرة التعدد في تأويل المعنى والانتشار، والاختلاف وغيرها، ومثل ما قام به الناقد السعودي "عبد الله الغذامي" النموذج الأمثل في كتابه المعروف "الخطيئة والتكفير"، بدراسة شعر "حمزة شحاته" دراسة تفكيكية سيميائية، وكذا الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" في دراسات تفكيكية متعددة من بينها كتابه "ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد"، و"دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة"، وكتاب "تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، على نحو ما أشار إليه الناقد الجزائري"يوسف وغليسي".(وغليسي يوسف 2002،ص163)، وفضلا عن الدراسات التي قدّمها عبد المالك مرتاض" توجد دراسات تفكيكية أخرى حتى ولو كانت قليلة، ونذكر منها للتنبيه الدراسة التي قدمها الأستاذ "الطاهر روابنية" بعنوان"الكتابة وإشكاليات المعنى، قراءة في بنية التفكيك في رواية (تجربة العشق) للطاهر وطار"، وما قدمه كذلك"عمر أزراج" في دراسته لثلاث نصوص تفكيكية مترجمة من النقد الإنجليزي، وفي السياق نفسه نذكر دراسة الدكتور"سليمان عشراتي" النظرية حول التفكيكية وجذور الوعي التنظيري عند جاك دريدا"(المرجع السابق،ص163)، وهذه بعض النماذج عن التفكيك في النقد العربي المعاصر عموما والنقد الجزائري خصوصا كونه اتجاه نقدي له صلة قوية بفلسفة ما بعد الحداثة.

3 . بين تفكيكية "جاك دريدا" وتفكيكية "بختي بن عودة"في إطار انتقال النظريات النقدية:

انطلق بختي بن عودة في عمله النقدي والفكري التفكيكي من العديد من المرجعيات والخلفيات التي جعلته يؤسس لمشروع نقدي تفكيكي جزائري من أهمها :

أ ـ تتبعه لأحداث تفكك الإتحاد السوفياتي والنظر إليها كحتمية تاريخية جعلته يتطلع إلى مستقبل بلاده، خاصة في مجال الكتابة والثقافة.

ب- تفاعله مع التحولات العالمية في شتى الميادين وتأثر الساحة العربية بها خاصة في المجال الفكري والفلسفي كفلسفة الحداثة وما بعدها ومعاصرته لنهاية الحداثة وبداية ما بعد الحداثة في العالم الغربي، بينما يحدث نقيض ذلك في الوطن العربي وفي الجزائر على وجه الخصوص من تأخر في المجال الفكري والنقدي .

ج ـ تأثره العميق بالفكر الفلسفي عند جاك دريدا وما جاء به هذا الفيلسوف الفرنسي من فلسفات واستراتيجيات حديثة أهمها إستراتيجية التفكيك التي استعارها منه بختي بن عودة وقد اتكأ عليها لمحاورة الفكر والثقافة الجزائرية.

شرع بختي بن عودة في مشروعه النقدي متبنيا تفكيكية جاك دريدا مستعملا آلياتها، قصد الوصول إلى الأسباب التي جعلت الإنتاج الفكري والنقدي يتأخر في وطنه والسعي وراء التصدي لكل الالتباسات والهفوات و العثرات التي جعلته يصف الوضع المعيش في وطنه بالكارثة، ويبذل كل ما بوسعه لمسايرة العولمة واللحاق بركب فلسفة الحداثة وما بعدها، وهو ما نلمسه فيما ينقله إلينا الدارسون: « الكتابة غدت عنده فحص وتشخيص جينالوجي لهوية الكارثة في اللحظة الجزائرية يبحث من خلالها جزأرة المعنى بآليات التفكيك والحفر والتنقيب، التي أعارها من فلاسفة مابعد الحداثة خاصة جاك دريدا...»(عبد الحليم عطية أحمد ،2008،ص167) ، على هذا الأساس استعمل بختي بن عودة آليات التفكيك والحفر والتنقيب في كتاباته للبحث عن المعنى ومعاينة طبيعة الهوية في وطنه .

إن المتأمل في تفكيكية بختي بن عودة، يرى أنها لم تتوقف عند تفكيك النصوص واللغة والبحث عن المعنى فحسب، ولم تشمل الكتابة ككتابة وكفى، بل تعدت ذلك إلى تفكيك العقل والفكر الجزائري والبحث عن الهوية ونقدها في آن واحد، إذ جاءت مختلفة عن سابقيه في الوطن العربي وفي الجزائر على وجه الخصوص، حين عمد إلى تفكيك العقل الجزائري من حيث معالجة الفكر، متناولا العديد من الجوانب التي تعتبر من عناصر الحداثة وما بعدها من بينها محاورة العقل والسلطة والأبوة والقبيلة والهوية ونقد الهوية، والمسألة الثقافية والسياسة والتاريخ، واللغة والدلالات المتعددة العائمة، والتفكير مع الذات ضد الذات وغيرها.

طرح بختي بن عودة القضايا السابقة متناولا إياها بالتفكيك ومساءلة الفكر الغربي الفلسفي الحداثي وما بعد الحداثي، منطلقا من التساؤل عن تأخر بل تراجع وغياب الكتابة النقدية والفكرية الفلسفية في وطنه، بينما يتجاوز غيرنا تيار الحداثة ليتوغل في تيار ما بعد الحداثة، يتساءل بختي بن عودة:«...كيف تتراجع المعرفة النقدية لصالح التفقّه والتدجيل وغراميات متفجرة بتراجيديات الليل والنهار ...وهل إعلاناتكم تزن مثقال صورة فنية، أو فقرة فلسفية، أو بطاقة مبدع»(بن عودة بختي ،1999،ص65).يوضح بختي بن عودة مقارنا بين الكتابة المحصورة في التفقّه والتدجيل والغراميات والتراجيديا التي مازال ينتجها المثقف الجزائري في ذلك الوقت، والتي لا فائدة منها سوى الترفيه والتسلية وخلق الصراعات الإيديولوجية، التي لا تجاري ما وصل إليه الآخر ولا تعادله من إنتاج الكتابات الفلسفية والفكرية التنويرية والصور الفنية التي أجاد فيها العالم الغربي والتي تفيد مجتمعا كالمجتمع الجزائري وتخرجه من العزلة والتأخر الفكري والنقدي.

ارتبطت كتابات بختي بن عودة بتفكيكية جاك دريدا في معظم أعماله إن لم نقل كلها، فهو من حين لآخر يستمد أفكاره ويجعلها خلفية لمشروعه الفكري الذي اعتمده لتفكيك وتتبع المسألة الثقافية في مجتمعه إذ كان هدفه من ذلك قراءة الخطابات الإنسانية والتاريخية، قراءة فيها مغايرة ومفارقة لم تعهدها القراءات النقدية عند النقاد الذين سبقوه، ما لم تكن مناقضة أو قراءة مزدوجة :«...ويشير بودومة ومن كتب عن بختي بن عودة إلى ارتباط كتاباته بتفكيكية جاك دريدا، لقد أحب بن عودة جاك دريدا ووقف عند رأس ماله الرمزي»(عبد الحليم عطية أحمد ،2008،ص167).

إن مسألة ارتباط كتابات بختي بن عودة بتفكيكية دريدا ليست مسألة حب له فقط، وإنما المسألة متعلقة بما وجده بختي بن عودة في مشروع دريدا من استراتيجيات وآليات تخدمه وتساعده فيما يبحث عنه في وطنه من هوية شعب حديث النشأة لا يزال مشتتا ومتفرقا بين هذا وذاك، وحتى يتسنى له استثمار هذه الإستراتيجيات ويعتمدها في دراساته وأبحاثه لينطلق في تفكيكه للفكر ونقد الهوية، ومساءلة فلسفات التنوير المتعلقة بالحداثة وبما بعد الحداثة:«رغم حياته القصيرة إلا أن الباحث الجزائري بختي بن عودة (1962-1995) قد أثار مؤشرات اهتمام متزايد بالتفكيك وبجاك دريدا، فقد أنجز مذكرة الماجستير حول "عبد الكبير الخطيبي" بوصفه نموذجا للكتابة التفكيكية في المجال العربي، ونشر العديد من المقالات المترجمة أو المؤلفة، التي عرض فيها

التفكيك واستثمر استراتيجياته، ومنها "انسحاب الكتابة"، و"كيف نقرأ دريدا احتراق الرفاة نموذجا"، و" موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا"، و" بوجدرة والدلالية المختلفة، مقاربة تفكيكية في شعر الإساءة"، "العالم غير مناسب/ قراءة لغياب ألتوسير»(أحمد البنكي محمد ،2005،ص335/334).

أكدت هذه المقولة "لمحمد أحمد البنكي" سبب تأثر بختي بن عودة بتفكيكية دريدا ولخصت في الوقت ذاته العديد من أعمال النقدية التي وظّف فيها استراتيجيات وآليات التفكيك ليبين محل الكتابة الفكرية والنقدية في الجزائر، وكذا استعمال مقاربة الاختلاف والتساؤل عن غياب فكر فلاسفة الحداثة ومابعد الحداثة ك"لويس ألتوسير"، وغيره من رواد التيارين.

إن بختي بن عودة كناقد تفكيكي لم ينطلق من فراغ لما تأثر بفلسفة جاك دريدا التفكيكية، وليس تأثره بها من باب الصدفة أو حبا لشخصه كما تقدم، بقدر ما يعترف بأن تفكيكيته تمنحنا الأدوات اللازمة التي تساعدنا كعرب، على أن نكون طرفا آخر في الفكر الصحيح الحامل للمصابيح كما فعل غيرنا، الفكر الذي يؤدي بنا إلى التنوير والخروج من العزلة والتأخر ومقالدة الآخر ومجاراته بل ومفاجأته إذ يقول:«لعل دريدا يمنحنا كقراء عرب أدوات حداثية ...لعل دريدا يعلمنا نحن أبناء المحيط كيف نفاجئ الهالات الموضوعة على حياة الآخر، على شواطئه، كيف نتسلل إلى الثغرات من خلال أمتعة معرفية نقدية تفكيكية، أن ننسى ذواتنا إلى حين، أن نؤجل الحديث عن وحدة ترعاها السماء، أن نستحق طرفا في الفكر القابل للسكني **[pensèe habitable]**، إنه فكّر كذلك متى نحمل المصابيح»(المرجع السابق،2005،ص336)..

تتبع بختي بن عودة أدوات جاك دريدا واستراتيجياته وكل أجزاء تفكيكيته تتبعا دقيقا وخلص إلى أننا كعرب نحتاج إلى الفكر الدريدي وفلسفته ليجدر بنا حمل المصابيح مصابيح التنوير وتجنب التقوقع حول القديم وسلطة القبيلة والأبوة، وأن نُكوّن فكرنا الخاص بنا والذي يعادل فكر الآخر وفلسفاته كما تطلع أن يجعل من الجزائر نموذجا فكريا ونقديا خالصا يناظر العولمة من خلال استعمال هذه الأدوات والأمتعة المعرفية النقدية والتفكيكية التي تكشف الوضع الراهن وتعطينا نقيضه، وتمنحنا الجدة في التفكير والمعالجة العلمية.

يذهب "بختي بن عودة" في بحث الماجستير عن ظاهرة الكتابة في النقد الجديد إلى القول: «تقترح هذه الأطروحة الخاصة بظاهرة الكتابة في النقد الجديد مسألة نقدية وفكرية بالأساس مسألة هي من الناحية المعرفية متمفصلة مع شرط الحداثة وما بعدها، بمعنى الجدة في التفكير من جهة، والمعالجة العلمية من جهة أخرى»(بن عودة بختي ،2013،ص25)، هذا ما سعى إليه فيما استقاه من شرط الحداثة وما بعدها وما تبعها من استراتيجيات التفكيك وآلياته والتوجه نحو فكر جديد، وكذا إلى معالجة علمية تتقدم بالفكر العربي عموما والفكر الجزائري خصوصا، نحو مساءلة الفكر الغربي والبحث في معناه الذي يقابله والنظر في الواقع والوضع الراهن الذي يعايشه، وعدم الاكتفاء بما تقدم بل التوجه نحو المزيد من استعمال النقد التفكيكي لعل وعسى يتمكن من الوصول إلى ضالته المنشودة.

4 . مقولة الأشباح ودورها في البحث عن الهوية الثقافية الجزائرية:

فكرة الأشباح أو الشبحية من بين المقولات التي تندرج تحت استراتيجية التفكيك، والتي أثارها الفيلسوف جاك دريدا في كتابه "أطياف ماركس"، الذي يتضمن نقدا تفكيكيا لنصوص ماركس المشهورة، أثبت فيه أن نصوصه مليئة بالطيفية من خلال فرضه حالة التناقض التي وقع بها ماركس بين رفضه للطيفية أو نقده للذهن، وبدوره بختي بن عودة يرى أن المجتمع الجزائري خاضع لها كما أشار إلى ذلك بقوله: « لقد ظهر للوضوح، أيما ظهور كشكل واضح للمرة الألف أن الجزائر خاضعة لفكرة الأشباح**[Spectres]** التي يثيرها الفيلسوف جاك دريدا في كتابه الأخير" أشباح ماركس حالة الدين، عمل الحداد، والأممية الجديدة»(بن عودة بختي ،1999،ص12).

انطلاقا من الأسباب المذكورة في المقولة السابقة لبن عودة، يتضح كما قدر الناقد أنها خاضعة لفكرة الأشباح وقبل الخوض في سبب اختيار بختي بن عودة لهذه الفكرة وإسقاطها على المجتمع الجزائري يعترضنا السؤال ما دلالة فكرة الأشباح ؟وما معناها؟..

1.4 دلالة الأشباح(الشبحية):

الشبح أو الطيف هو المعروف بخيال الشيء وظله، وهو عادة ما يسبب الفزع والخوف عند ظهوره المفاجئ، وكلمة الشبحية تدل على التعدد والتناقض وانعكاس الصورة والغموض في الآن ذاته، أو ما يترك من آثار وبصمات أو كل ما ينعكس عن الأصل، «وتحمل مفردة "الشبح"في معاجم اللغة العربية معنى التعريض والتمديد أو الزوال والتحول، فيقال: تشبح الحرباء على العود، يمتد، وهو ما نجده في الآية القرآنية الكريمة ﴿أَلَم تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنا ثُمَّ جَعَلنَا ٱلشَّمسَ عَلَيهِ دَلِيلا﴾»(بكاي محمد،2017،ص18).

إن الدلالة اللغوية للفظة الأشباح تتضمن حسب المعاجم العربية القديمة وفي القرآن الكريم معنى التحول والتمديد والزوال وهذه من مواصفات الخيال وأن مقولة الشبحية في حقيقتها هي مقولة مخيالية، فالطيف والخيال يحملان المعنى ذاته لغويا، إذ كل شيء له صورة تعكسه وظل يرافقه، لكن هذا الظل وهذه الصورة لا تعكس صورة صاحبها تماما كما هو في الحقيقة بل فيها الكثير من الزيادة والنقصان، وكذلك الظل يزيد وينقص ويزول مع تغير الوقت.ومن هنا تتضح حقيقة ودلالة الشبح الذي هو في الحقيقة يمارس هواية اللعب والخداع، فهو كذلك يحمل معنى التقلب ويتضمن العديد من المقولات منها: الخطي، الجسد، القلب، الحرف وهي كلها مقولات شبحية أو أطياف بتعبير "محمد شوقي الزين" في قوله:« الخط هو شبحي مثل الملامح أو الظلال: يلتحم مع الصوت ولكنه ليس الصوت الذي نسمعه، الخطي، الجسد، القلب، الحرف، هي مقولات شبحية أو أطياف، أي أنها وقائع سينوغرافية(جسدية) وسينيماتوغرافيا السينما هي الآلة الجبارة في صناعة الأشباح**Fantomachie**»(الزين محمد شوقي ،2008،ص176).

إن الشبحية وما تبعها من مقولات تتّحد مع الصوت، ولكن ليس هو الصوت الحقيقي، وتندرج تحت الآلة الجبارة لإنتاج وصناعة الأشباح، وهي السينما ومن ثم فإن الأفلام المعروضة فيها مثلا تحيي الوقائع التي حدثت سابقا ولكن في حقيقتها وقائع مختلفة، حتى ولو كانت الواقعة التي ترويها مستمدة من الحقيقة، فهناك اختلاف كبير في الشخصيات والأماكن، لكن الواقع الحقيقي ليس هو الواقع المعكوس عن صورة صاحبه«...الواقع نفسه مجرد "طيف" أو"شبح" بتعبير ابن عربي "خيال في خيال" لأنه ليس هو في اللحظة التي يقع فيها النعت أو الإشارة، فلا ينفك عن التحول، التقلب، الانقلاب، ولا ينفك عن مقلوبه»(المرجع السابق2008،ص176).

من خلال ما سبق يتضح أن الشبحية تحمل معنى الخداع الذي يقودنا إلى فكرة اللعب فالنقيض يلعب دور نقيضه، ويحاول محاكاته ومجاراته دون النظر في ذاته والتمفصل بها، فهي إذن مبنية على أسس لا واقعية وغير محددة، يغلب عليها الوهم وعدم الثبات والسكون في الوقت ذاته فهي ترمي إلى منطق الانعكاس الذي هو من خصائص المرآة، والمرآة لها معان متعددة في مجال النقد سواء النقد الأدبي أو النقد التفكيكي أو النقد السوسيولوجي، وكلها تتفق في المعنى ذاته تقريبا، إذ يعرفها النقاد المعاصرون بأنها«...سطح يعكس كل ما يقوم أمامه فأي شيء يمتلك خاصية السطح العاكس فهو مرآة وكلما كان أنقى وأصفى، كان مرآة أفضل وهذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل، وأما الذي تعكسه فهو يعرف باسم الصورة أو الانعكاس، وتدور الصورة مع أصلها وجودا وعدما، فإن وجدت كان الأصل موجودا، وإن انعدمت أو غابت كان الأصل منعدما أو غائبا... ذلك أن المرآة تضفي على الأشياء أبعادا جديدة تعمقها، فتحولها بحيث تبدو متباينة لنفسها، إنها توسع

نطاق العالم،لكنها بالإضافة إلى ذلك تمسك به وتنفخه وتمزقه، وفيها يكتمل الشيء ويتصدع في الوقت نفسه»(اليوسفي الذهبي ،2016،ص296).

تأسيسا على ماسبق، فإن ما نستخلصه من فكرة الأشباح أو (الشبحية) والمقولات التابعة لها من المخيال والأطياف إلى المرآة، وكذا الظل و الأثر والقلب والحرف، كلها دلالات لفكرة استعملها الفيلسوف جاك دريدا، ليتوصل إلى التمعن في الهويات والبحث عنها، وهذه إحدى استراتيجيات التفكيك التي اشتغل عليها وأسقطها على المجتمعات والبحث في هوياتها، وهكذا نتوصل إلى المدلول الحقيقي لفكرة الأشباح وهو أن:«الشبحية هي البحث عن هوية "اللاشيء"اللامستقر الوهمي واللايقيني، ذلك التائه المفقود الذي يوجد من دون حضور ويحل من دون زمان أو مكان ويفنى في خلود»(ساتيك نيروز ،العدد23شتاء2018ص130).

هذا هو جوهر فكرة الشبحية وهو البحث عن غير الموجود وعن كل وهمي وغير يقيني وضائع والموجود من غير حضور وليس له زمان أو مكان، ومعرض للفناء وهو باق بقاء الأشياء الخالدة، هذا هو سر التفكيك ومنطلقه لأنه يتميز بالخصائص السابقة، هذه فلسفة المفكر جاك دريدا التي نقلها بختي بن عودة بدوره ليسقطها على الجزائر ويبقى السؤال مطروحا لماذا فكرة الأشباح بالذات؟ وما الذي يرمي إليه بختي بن عودة من خلال هذه الإسقاطية؟ هل هي محاولة لتفكيك المجتمع الجزائري وتحديد لذاته وهويته ؟وما الذي يزعزع الذات والهوية الجزائرية حتى يسقط عليها بختي بن عودة شبحية جاك دريدا ؟.

2.4الشبحية ونقد الهوية:

إذا أردنا أن نلقي نظرة على هوية المجتمع الجزائري وموروثه الثقافي من الماضي القريب، فلا بد أن نقول:أولا بأن المجتمع الجزائري ينتمي إلى العالم العربي الإسلامي عامة، ومر بحقبات استعمارية متعددة، من بينها الاستعمار الروماني والبيزنطي والوندالي والإسباني، والفرنسي، خاصة هذا الأخير الذي سعى جاهدا إلى طمس الهوية الجزائرية وضربها في ركائز ثلاث من مقوماتها:الدين والهوية والتاريخ،وإذا كانت الجزائر خاضعة لفكرة الأشباح كما ذهب إلى ذلك بختي بن عودة وهذه الفكرة في دلالتها العامة هي البحث عن الهوية ، هوية الشيء واللاشيء،هوية الموجود وغير الموجود،ومع احتوائها دلالة الخداع واللعب فلقد جعل بختي بن عودة من ذلك منطلقا لتفكيك هذا المجتمع.

1.2.4 الهوية المتعددة:

يرى بختي بن عودة أن:«...الجزائر هي البلد الوحيد تقريبا في العالم العربي الذي تعود فيه نفس المشكليات إلى الواجهة، البلد الذي تلتقي فيه كل الأصوليات المحددة وفقا لمبدأ القوة والمساومة واللعب على وتر المرحلة، لذلك فهو لا يتنفس عموديا بل أفقيا، لا ينتج النقلة بل التكرار، ويصبح فيه من المستحيل التفكير في اللامفكر فيه»(بن عودة بختي ،1999،ص11).

يتضح أن بختي بن عودة يقصد المجتمع الجزائري بعد الفترات الاستعمارية التي مر بها، وهذا من خلال إشارته إلى أن الجزائر البلد العربي الذي تلتقي فيه كل الأصوليات، وفي ذلك دليل على تعدد الهويات وتمازج الثقافات، ثم إن المجتمع الجزائري مجتمع أبوي قوي، يأبى النقلة وينتج التكرار والمتتبع لواقع الهوية الثقافية الجزائرية، يجد أنها متعددة ويغلب عليها الصراع بين الأصليين العرب والمفرنسين ومع انقسام اللغة في المجتمع الجزائري إلى لهجات شاوية وأمازيغية وتارقية وشلحية ومزابية وغيرها، تميز بالتناقضات وتعدد الاتجاهات الإيديولوجية، أدى كل ذلك إلى التأثير بشكل مباشر على وحدة الشعب الجزائري، وأسهم في خلق العديد من الأزمات السياسية والثقافية والاقتصادية.

إن الهوية المتعددة هي التي تشتمل على العديد من الثقافات والإيديولوجيات والنخب السياسية وهذا ما زاد في تعقيد ظاهرة الهوية في الجزائر، ولعل المساهم بالدرجة الأولى في تشكيل هذه الأزمة هو الاستعمار « ترجع جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي، الذي أسهم في سحق بعض جذور الهوية وأهمهما الدين واللغة، ومحاربة ونسخ لكل ما هو جزائري طيلة فترة تواجده، إذ أن الاحتلال اللغوي، وسيادة الثقافة الفرنسية في التعاملات اليومية لعقود عديدة أسهم في تفجر إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية»(رشاد عبد الغفار ،2003،ص131).

إن عملية نسخ وسحق كل ما هو جذري في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي طيلة مائة وثلاثين عاما أثر تأثيرا بالغا على الهوية الثقافية الجزائرية ،فغدا الإنسان الجزائري غائبا نهائيا، وهذا ما دفع بختي بن عودة للبحث في هوية هذا الغائب الذي اختفى كل هذه السنوات، جراء الدسائس المقصودة من المستعمر الفرنسي وخلق التناقض والصراعات، ولما كان لبّ فكرة الشبحية هو البحث عن الغائب واللاغائب والموجود واللاموجود فإن بختي بن عودة لا يفتأ يقول:« لن نبحث في جزائر متواضعة جدا عن إنسية **[Humanisme]**،خاصة وذات خصوصية، لأن ذلك يحمل نبرة جد ميتافيزيقية، وإنما عن الإنسان فقط»(بن عودة بختي،1999،ص13).

إن البحث عن هوية الإنسان الجزائري حديث الولادة ذو الطبيعة المتواضعة، الخالي من الخصوصيات هو الهدف الحقيقي لتحديد هويته، ويتوافق بختي بن عودة في هذا الطرح المفكر والسوسيولوجي الجزائري "عمار بلحسن" الذي طرح كذلك أسئلة الهوية والاختلاف والحداثة في راهنتها بحثا عن ماهية الإنسان والمجتمع والدولة والذي يرى أن:«دولة الاستقلال السياسي أشبه بآلة التحديث والاقتصاد وإدماج التكنولوجيا وأشكال التنظيم الصناعية والعصرية بدون حداثة الثقافة التي غيرت فقط المجتمع وقيمه العائلية والأخلاقية والاجتماعية، لكنها فككت أنماط عيشه، وبنياته الرمزية والدينية والأنثروبولوجية بدون أن تسمح له ببنائها»(بلحسن عمار، العدد الرابع1991،ص6-7).

إن الجزائر الحديثة بعد فترة الاستعمار، والتي يقصدها عمار بلحسن في قوله السابق ،غيرتها دولة الاستقلال السياسي، وفي مجالات عديدة ودون حداثة الثقافة، وساهمت في تفكيك رمزيتها الدينية والأنثروبولوجية ولم تسمح ببنائها.

نستخلص من هذا المنطلق أن هناك تفكيكا من غير بناء، وهذا ما أدى إلى توليد صراعات واختلالات جهوية تبعد الفرد الجزائري عن عروبته وهويته الحقيقية، فالإنسان الجزائري الذي نبحث عن هويته الثقافية ومن الناحية الأنثربولوجية :«...ذو شخصية تختزن طاقات نفسية واجتماعية بدون معرفة تاريخية بنفسها وماضيها وحاضرها، وتعيش تمزقات واختلالات على مستوى الهوية بين عروبة ميؤوس منها، نتيجة التخلف والاستبداد والهزائم المتكررة، وأمازيغية هي في حنين إلى الجذور وإحياء لخصوصية سرعان ما تتحول إلى جهوية، تخفف من الانتماء التاريخي للعروبة وتحاول جاهدة الابتعاد عن العرب للاندماج في مغربانية تستوعب الحداثة والغرب والمتوسطية، وإسلامية تقليدية،تطورت على صعيد المجتمع الريفي والهامشي والتقت مع أجيال الاستقلال في تدين عام سرعان ما تطور إلى نزعة دينية سياسية تنذر بتدين الدولة والمجتمع...» (المرجع السابق، العدد الرابع1991،ص8-9).

يتضح أن بختي بن عودة متأثر بأفكار أستاذه "عمار بلحسن" فيما ذهب إليه، فهما يتفقان في النظرة ذاتها تقريبا، ذلك أن تعدد الهويات في المجتمع الجزائري بين اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية والمغربانية والإسلامية وغير الإسلامية، هو ما جعل هوية الفرد الجزائري الثقافية ضائعة وتائهة جراء الصراعات والأحقاد القديمة والتناقضات الإيديولوجية والجهوية، وكذا عدم الوعي بالتاريخ والتقاء أجيال قديمة بأجيال

جديدة، هذه الأسباب جعلت بختي بن عودة يطرح فكرة الأشباح لأن الفرد الجزائري خاضع لها بسبب غياب هويته الثقافية وبالتحديد غياب الكتابة الفكرية والنقدية، بقيت هذه الهوية غائبة وتائهة بين مجتمع أبوي لا يريد التغيير ، وبين فلسفة وعولمة توغلت في أنوار فلسفية وفكرية حديثة تجاوزت فلسفة الحداثة وما بعدها في حين ظلت هوية الفرد الجزائري عالقة تتطلع إلى تحديد ذاتها، وكتابع في الوقت ذاته للآخر.

يبحث بختي بن عودة عن هوية المجتمع الجزائري الثقافية المتحررة من كل الضغائن والأحقاد الماضية، والتحرر من سلطة الآخر وسيطرته، هذه الهوية التي تسمح للمرء بمعرفة نفسه واستعمالها غائبة عند الفرد الجزائري الذي تصدق عليه هذه المقولة: « إن الإنسان في أفقنا الروحي، لم يعد بعد إلى ذاته،كما فعل في أماكن أخرى من القرية الروحية التي تمثلها الإنسانية الحالية، إنه مازال باقتناء هويته من خارج ذاته، ككائن ممنوع سلفا من أي اختراع حيوي لمرجع وجوده...»(المسكيني فتحي ،2011،ص15).

إن هوية الإنسان الجزائري، إلى جانب الأفق الروحي والأخلاقي يجب اقتناؤها من الجانب الثقافي، وبالتحديد جانب الكتابة وإنتاج الأفكار، وهذا ما يرمي إليه بختي بن عودة على اعتبار إن الجزائري منذ القديم محروم من تقديم أي اختراع أو إنتاج حيوي يحدد به هويته وذاته، والاختراع المقصود هنا هو الكتابة كعنصر من عناصر الهوية الثقافية، الكتابة الغائبة عن الفرد الجزائري، الكتابة التي أعلن عليها الحرب والتي وئدت بل أجهضت منذ القديم حتى أصبحت أمرا مستحيلا بسبب عراقيل الاستعمار قبل الاستقلال، من جهة ثم المتسلطين على المنابر في دولة الاستقلال السياسي بعد الاستعمار من جهة أخرى، ثم بعدها تعدد الهويات وعدم الوعي بالتاريخ وكل الأحقاد والضغائن والصراعات الجهوية والإيديولوجية، وحبّ السلطة والتملّك، وهو ما يقرّه بختي بن عودة على هذا النحو :«...هاهم الذين أعدموا الحروف يعدمون الرغبة في التحول والانبعاث، ثم يعطون نعوتا من طراز متطرف وماركسوي ومجنون ومشاكس، للذي يبدع في محاورة العالم والواقع واللغة، لأن لغته ليست من طينة لغتهم، ولأن خطابه ليس من طينة خطابهم، خطابه الاجتراح، وخطابهم المهادنة، لغتهم القدامة والإلغاء والحقد، ولغته الحداثة والتوجيه والفعل، هكذا يخفون عجزهم وفراغهم واستبدادهم في امتلاك المنابر وحب تملكها، لهم الهروب إلى الأمام أسلوبا، وله المجابهة والنقد حجة وممارسة»(بن عودة بختي 1999،ص38).

جمع بختي بن عودة في الطرح السابق المعيقات والعراقيل التي أدت إلى إعدام الكتابة وغياب الهوية الثقافية والفكرية الجزائرية، مقارنا بين الأنا والآخر ولعل السبب الرئيس في ذلك هو تملّك المنابر والسيطرة عليها، كما أنه بين ضعف وتهرّب أصحاب المنابر خضوعا لحجج واهية لأن لغة الآخر وخطابه ليست من لغتهم وخطابهم، فإذا كان ذلك أسلوبهم فللآخر أسلوب التمكن من المجابهة والنقد والإبداع في الحداثة والعمل والتوجيه.

2.2.4غياب الهوية من خلال غياب الكتابة:

تعدد الهوية في المجتمع الجزائري كما تقدم، مسألة مؤكدة وحقيقة لا مفر منها، فالهوية عموما متعددة، وذات عناصر ومجالات وتمظهرات، لا يمكن حصرها في مستوى واحد أو اختزالها ضمن منطق محدد، فهي متداخلة المفاهيم ذات علاقات شبكية مرتبطة ببعضها البعض، تلتقي فيها الثقافة بالمجتمع واللغة بالأدب والنقد، فما بالنا بهوية كهوية المجتمع الجزائري حديث النشأة، والذي مرّ بالظروف السابقة،الهوية التي امتزجت بهويات متعددة ذات جنسيات مختلفة، بقي تأثيرها من مكوث الاستعمار في الجزائر إلى غاية استقلالها بل وإلى اليوم.

ومع تعدد الهويات ومع اتضاح أن بختي بن عودة يبحث عن هوية الكتابة من خلال طرح فكرة الشبحية وليست أي كتابة، بل التطلع إلى وجود كتابة متعلقة بالإنتاج الفكري والنقدي، إذ تساءل عن أسباب انسحاب الكتابة وتراجعها، الكتابة التي تكشف عن الحقائق وتنشر الوعي الفكري والنقدي، وحسب بختي بن عودة أن

يبرر وجهة نظره:«...لا أقصد بالكتابة تلك التجلية اللسانية الظاهرانية، والتي عادة ما تتأسس حول سلطة الدليل أو العلامة، وإنما ذلك الوجود الفاعل للوعي من خلال تجربة إبداعية نقدية لها شرائطها السوسيوثقافية من جدل القراءة، كتقليد وكحاجة معرفية وحضارية تكشف إما عن هزال فكري أو عن ثراء فكري...» (المصدر السابق 1999،ص62).

الكتابة التي يقصدها بختي بن عودة بهذا التوجه، هي الكتابة الواعية التي تكشف هزال المجتمع أو ثراءَه من الناحية الفكرية، الكتابة التي تتجاوز التقليد اللساني واللغوي، والمعايير النحوية والأسلوبية إلى كونها وظيفة تتضامن مع التاريخ وتسترجعه، الكتابة التي تضمّ العلاقة بين الأدب كإبداع والمجتمع كمجموعة من الأفكار، الكتابة التي يقصدها "رولان بارت**Roland Bart** "ويفرق بينها وبين الإنتاج الأدبي حين يبادر بهذا الموقف النقدي: «...ولكن الهوية الشكلية للكاتب لا تتوطّد إلا بعيدا عن ترسيخ المعايير النحوية والثوابت الأسلوبية...اللسان والأسلوب هما قوة عشواء، أما الكتابة فهي فعل تضامن تاريخي، اللسان والأسلوب هما موضوعان، أما الكتابة فهي وظيفة، وهي العلاقة بين الإبداع والمجتمع، وهي اللغة الأدبية التي تحولت بمقصدها الاجتماعي، إنها الشكل الحبيس مقصده الإنساني والمرتبطة تبعا كذلك بأزمات التاريخ الكبرى...»(بارت رولان ،2000،ص21).

يتضح مما سبق أن الكتابة كما وضح بارت نوعان:كتابة أدبية مادتها الأولية مقيدة ومحصورة بمعايير وقواعد نحوية وظواهر بلاغية وأسلوبية، وذات طبيعة لغوية تصف سلوكيات إنسانية أو تدل على موقف خيري، وتدخل السعادة أو الكآبة على قلب القارئ، وكتابة تتضمن وظيفة تعتبر مزيجا من خلال تشكيل علاقة بين الأدب كإبداع والمجتمع كأفكار،كتابة تجدد هوية صاحبها وتنشر الوعي وتنور العقل ولا تجعل القارئ عالقا بين تقليد الآخر وتتبع خطواته.

إن النوع الثاني من الكتابة هو الذي يقصده بختي بن عودة، ولذلك فالكتابة في الجزائر تقليدية ومتذبذبة تكاد تخلو من المعرفة النقدية والفكرية التي تعالج مجتمعا جريحا كالمجتمع الجزائري، مازال تحت تأثير التبعية الفكرية للاستعمار،كتابة لا تحدد ولا تثبت هوية صاحبها مازالت متأخرة وتفتقر إلى الفكر الثاقب الواعي ما انفكت تحارب وتقاوم أياد متعصبة تأبى الوصول إلى الحقيقة والنور.

يتساءل بختي بن عودة بإلحاح نقدي عن: «...مسار جيل كامل من الكتاب والأدباء الذي انخرط في سلك الإقصاء والتعصب والمغالاة في أدلجة النقاش حول الهوية والتمادي في توظيف عناصرها ومكوناتها الأساسية (الدين، اللغة، الانتماء الحضاري)، في تنوعها وتعددها في طريقة مكيافيلية هدفها النهائي السعي إلى الآخر كشرط أولاني لإثبات الأنا...»(مهيبل عمر ،1428ه-2007م، ص76).

بهذا الشكل ضاعت الكتابة بين المغالاة في الجانب الإيديولوجي، والتركيز على عناصر محددة من الهوية:كالدين واللغة والانتماء الحضاري، وإهمال الكتابة النقدية الواعية المحمّلة بالفكر المطلوب، الفكر الذي يجاري العولمة خاصة بعد إتقانها وتمكنها من تيارات ونظريات متطورة من فلسفات الحداثة وما بعد الحداثة.

إن التعصب والتمادي في أدلجة النقاش حول أمور العقيدة والهوية وغيرها، من العناصر والمكونات الأساسية من الأسباب والمعيقات التي جعلت الكتابة تنسحب في الجزائر، بل تنغلق على نفسها، وعليه تاهت هوية الإنسان الجزائري، بل ضاعت بين هذا وذاك، بين الذات والآخر بين جزائري يطرد جميع الهويات ليحتفظ بهويته وبين آخر يتطلع إلى هوية غيره حتى يثبت هويته ويقيمها، بقي المثقف –القارئ- الجزائري مذبذبا بين انتقاء المعرفة والمواضع التي تناسبه، فإذا كانت فرنسا على سبيل المثال تقترح على قرائها مواضيع وأنواعا معينة من الخطابات، فما هو المقترح الذي يغري القارئ الجزائري لارتقاء الكاتب بكتاباته ...؟ يتساءل بختي بن عودة من جديد:«...وإذا كانت فرنسا مثلا عبر ملاحق لوموند والفيغارو وليبيراسيون وغيرها، على سبيل المثال، ناهيك عن مالا نعرفه وعن المختص منها أيضا في نقد الصورة أو العلامة أو الجسد المسرحي أو الذات من وجهة التحليل النفسي تقترح على القارئ مخظوظ جغرافيات من الخطابات تصل بريده رغم ازدحام الحياة وتشابك خيوطها، نتساءل بدهشة عن نوعية الخط الذي يغري القارئ الجزائري والموجود في وضعية اختلال **(Decalage)** مثلثة بالنسبة للخريطة الوطنية ثم العربية والعالمية وتتسع آلام هذه الوضعية باتساع

الشقوق بين المعرفة وموضوعاتها من جهة باستمرار مأساوية القراءة عندنا من جهة أخرى»(بن عودة بختي ،1999،ص64).

إن مقارنة وضع الكتابة وكذلك القراءة في الجزائر بدولة أخرى كفرنسا التي توسعت في الفلسفات النقدية الحديثة، من نقد الصورة والعلامة وكذا الجسد المسرحي والذات من جهة التحليل النفسي، والتي تسعى جاهدة لوضع مخظوظات تنور فيها قرّاءها لاستيعاب الكتابات في الفلسفات المذكورة سابقا يعتبر بالنسبة لبختي بن عودة أمرا محيرا، فما بالك بقارئ كالقارئ الجزائري الذي مازال مشتتّا، وفي وضعية اختلال على حد تعبيره، فأي حظّ يغريه ويلفت انتباهه إلى ما وصل إليه الغير مثل فرنسا.

يواصل بختي بن عودة تساؤله، ويربط القضية كذلك بالإعلام الذي لم يبد دوره في نشر الكتابات النقدية، فقد كان غائبا عن هذا الجانب بصورة نهائية تقريبا، ما الذي جعل الساحة الإعلامية تفتقر لنشر الكتابة النقدية والفكرية كجريدة الخبر؟ مثلا هل هناك أوامر ونواهي خفية ؟... وبشجاعة يفصح بختي بن عودة عن ذلك:« ...لم يكن معقولا أن تشهد الساحة الإعلامية الوطنية موجة انسحاب للكتابة حتى داخل القطاع الخاص نفسه مثال (الخبر)...ما هوية الكارثة؟ ما أطرافها المختفية وراء تقنيات النهي والأمر؟»(المصدر السابق،1999،ص65).

إن هذا التساؤل الذي يطرحه بختي بن عودة عن انسحاب الكتابة النقدية وتأخرها ومقارنتها بالإنتاج الكتابي في العالم الغربي – الآخر – ولعل الأمور مقصودة على حد تعبير بختي بن عودة من طرف سلطة تفرض تقنيات الأمر والنهي، ويتضح ذلك من خلال إشارته إلى أن الإنتاج الكتابي في تلك الفترة الحرجة فترة التسعينيات أو العشرية السوداء إن صح التعبير من القرن الماضي في الجزائر، لا يعادل صورة فنية أو فقرة فلسفية أو بطاقة مبدع ؟ألا يقصد بختي بن عودة بذلك بعض عناصر ما بعد الحداثة،كهيمنة الصورة ووسائل الإعلام والمناهج النقدية الغربية وغيرها؟ مقارنا الوضع بالمشهد الفكري والثقافي في وطنه الذي مازال يعاني العراقيل

لقد حاول بختي بن عودة الاشتغال والنهوض بالمشهد الفكري والنقدي، وذلك من خلال محاورة البنيات السياسية الثقافية إذ«...لم يشتغل بختي بتعرية البنيات (السياسية،الثقافية) باستراتيجياتها القاتلة للثقافة والمثقفين...بل ذهب ليسائل منظومات أخرى، حلم ذات يوم بأن يعطي لوطن الثقافة المفقودة عبقا وأريجا يفوح بالجزائر التي تأبى السقوط في المتاهة ،...لقد تساءل كيف يجعل من الجزائر أفقا للفكر ...»(عبد الحليم عطية أحمد ،2008،ص167).

لم يحاور بختي بن عودة البنيات السياسية والثقافية فحسب، بل تعدى ذلك لمساءلة منظومات أخرى عن أسباب هذا التراجع الذي مسّ المشهد الفكري النقدي في الساحة الثقافية الجزائرية، وتساءل كذلك عن أسباب قتل الثقافة والمثقفين، فهو بذلك يرمي إلى بناء مشروع فكري فلسفي ينهض بالفكر والنقد الجزائريين ويخلصهما من قيود الجهل والظلام ويخرج بالجزائر إلى وضع جديد يملأ أفقها الفكر البنّاء والفعّال.

نقديا لم ينطلق بختي بن عودة من فراغ، إذ كان مشروعه الفكري مؤسسا، لقد انطلق من آليات الحفر والتنقيب واتخذ من الكتابة وسيلة للبحث عن هوية الإنسان الجزائري، حتى أصبحت عنده آلة فحص وتشخيص جينالوجي، وباعتماده استراتيجيات ما بعد الحداثة كآليات التفكيك والحفر والتنقيب وغيرها والتي استعارها من فلاسفتها المتخصصين، سعى إلى نقد الهوية -هوية الفرد الجزائري باعتبارها- أحد عناصر ومميزات ما بعد الحداثة، فإذا كانت الهوية ودراستها عنصرا من عناصر فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة جاءت لتقويض ونقد مرتكزات الحداثة والتشكيك فيها، إن نقد الهوية الذي استخدمه بختي بن عودة في البحث عن الإنسان الجزائري من خلال تتبع ظاهرة الكتابة، هي ملمح من ملامح فلسفة ما بعد الحداثة وعنصر من عناصرها، وهذا طبقا لمقولة "تيري إيجلتون " في هذا الصدد:«...إن فكر ما بعد التحديث هو أسلوب فكري يشكّك في المفاهيم التقليدية للحقيقة،والعقل والهوية والموضوعاتية»(إيجلتون تيري ،1996،ص7)

إن التشكيك في الهوية أو بالأحرى نقد الهوية من حيث التعدد والاختلاف، هو من العناصر التي اشتغل عليها فلاسفة ما بعد الحداثة، وقد نحا بختي بن عودة نحوهم حين بحث عن هوية الإنسان الجزائري، والتي وجدها ضائعة بين التعدد والاختلاف مثل الدين واللغة والانتماء الحضاري(مهيبل عمر ،1428ه-2007م،ص76)،وهو المعنى ذاته الذي عبر عنه إيجلتون بقوله:«...أكثر المفاهيم السياسية الخاصة بما بعد

الحداثة تعتمد على التعارض الذي بين الهوية والآخرية وقد يكون من المغزى أن نقول إن الشيء الذي يتم رفضه تماما هو تحكم الهوية في الآخرية**otherress**والإختلاف...»(إيجلتون تيري ،1996،ص218).

إن ما سعى وراءه هذا الناقد من خلال طرحه فكرة البحث عن الهوية ونقدها، وكذا مسألة تأخر الكتابة النقدية والفكرية الجزائرية هو محاولة إثبات هوية للإنسان الجزائري من خلال نفي هوية الآخر وإثبات هوية الأنا، وهذا ما جعله يتساءل كيف نفكر مع الذات ضد الذات، وهذا ما يؤكده "عمر مهيبل"فيما ذهب إليه بختي بن عودة بقوله:«...تشكل مسألة الهوية في الجزائر إشكالية قصوى ضمن فسيفساء المشهد الثقافي ككل بالإضافة إلى البعد التاريخي المرتبط بالمرحلة الكولونيالية– والذي مازال فاعله في المخيال الثقافي الجزائري، هناك المؤثرات الكونية الجديدة التي لا يزال العقل الجزائري المتأمل يقف مشدوها إزاءها لا يجد نقطة ارتكاز يمكنه الانطلاق منها لمساءلة الآخر كجزء من مساءلة الذات نفسها، ونقدها حتى ليصير سؤالها الأساس هو:كيف نفكر مع الذات ضد الذات؟»**(** مهيبل عمر ،1428ه-2007م ،ص75-76).

5.الخاتمة:

نخلص من كل ما سبق إلى ما يلي:

-في مشروع بختي بن عودة التفكيكي مساءلة للفكر الغربي، ومحاولة للنهوض بمشروع نقدي وفكري يساير العولمة من تيارات فلسفية حداثية ومابعد حداثية،ومعالجة التأخر الذي أصاب المجتمع الجزائري خاصة في المجال النقدي والثقافي على حد سواء، وذلك بمحاورة العقل الجزائري وكذا السلطة والأبوة والبحث عن الهوية ونقدها.

-تبنى الناقد الجزائري بختي بن عودة تفكيكية جاك دريدا واستعار العديد من آلياتها واستراتيجياتها كفكرة الشبحية ونقد الهوية وغيرها، ليس من باب الصدفة أو مجرد التأثر بفلسفة دريدا فحسب، وإنما ما وجده في فلسفته يخدم مشروعه الفكري والنقدي والتي قام بإسقاطها على مجتمعه قصد البحث عن هوية الإنسان الجزائري وإثباتها من الجانب الثقافي والكتابة النقدية والفكرية.

-اشتغل بختي بن عودة على استراتيجيات التفكيك بطريقة مغايرة للنقاد الجزائريين الذين سبقوه، أمثال أستاذه "عبد المالك مرتاض"، فإذا كان التفكيك عند عبد الملك مرتاض يتوقف عند تفكيك النصوص والبحث عن تأويل المعنى، فإن تفكيكية بختي بن عودة تسعى إلى تفكيك المجتمع الجزائري، أو بالأحرى تفكيك العقل الجزائري ونقده من خلال طرح فكرة الهوية ونقدها انطلاقا من محاورة ظاهرة الكتابة وانسحابها في المجتمع الجزائري.

-المجتمع الجزائري خاضع لفكرة الأشباح حسب رؤية بختي بن عودة لأنها فكرة في جوهرها ترمي إلى البحث عن الهوية الموجودة وغير الموجودة في الآن نفسه، ولأن هوية الفرد الجزائري تعاني الحضور والغياب والتشتت والتناقض والاضطراب، وهو ما يتوافق وفلسفة التفكيك، فإن إسقاط هذه الفكرة مناسب من منظور بختي بن عودة للبحث عن هوية الفرد الجزائري.

-المجتمع الجزائري ذو هويات متعددة، وذلك راجع لعدة أسباب منها الاستعمار واختلاف اللهجات والعادات والتقاليد مما أدى إلى وقوع الانقسام و الاضطراب في الموروث الثقافي، وانجر عن كل ذلك انفجار إشكالية الهوية، لهذا توصل بختي بن عودة إلى أن إسقاط تفكيكية جاك دريدا واستراتيجياتها هي مسألة حتمية، لأنها التيار الفكري المناسب لمعالجة الوضع الفكري والنقدي الجزائري.

-التفكيك نوعان:تفكيك من أجل إعادة البناء وتفكيك من أجل التقويض و الهدم ونستخلص مماتقدم أن تفكيكية بختي بن عودة هي تفكيك من أجل إعادة البناء، إذ جاءت محاولته التفكيكية لإعادة بناء الفكر والبحث عن الهوية الثقافية ومعالجة مجتمع جريح، طمست هويته جراء حقبات استعمارية مختلفة خاصة ما فعله الاستعمار الفرنسي بضرب المجتمع الجزائري في دينه ولغته وتاريخه المشترك.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

[1]- وغليسي يوسف(2002) : النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ، الجزائر، رابطة دار الثقافة ،دت.

[2]- أحمد البنكي محمد: (2005) دريدا عربيا قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1.
[3]-مجموعة مؤلفين، الخويلدي زهير وآخرون(1434ه-2013م)،خطابات المابعد:في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية الجزائر،منشورات الاختلاف ط1.
[4]- مهنانة إسماعيل،(1435ه-2014م) الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، الجزائر العاصمة-منشورات الاختلاف،ط1.
[5]- شحيد جمال و قصاب وليد(2005)، خطاب الحداثة في الأدب- الأصول والمرجعية ، سوريا -دار الفكر دمشق ، ط1،
[6]- مهنانة إسماعيل ،السابق (1435ه-2014م).
[7]- سبيلا محمد و بن عبد العالي عبد السلام 2007: ما بعد الحداثة تحديدات، الدار البيضاء المغرب -دار توبقال ، ط1،
[8]-المرجع نفسه، (2007)
[9]- الشيخ محمد، الطائري ياسر: (1996)، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، بيروت- لبنان -دار الطليعة، ط1.
[10]- ينظر كارتر دفيد:(2010) النظرية الأدبية ،ترجمة د.باسل المسالمة،دمشق –سورية،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر،الطبعة الأولى.
[11]- ينظر الرويلي ميجان و البازعي سعد: (2002) دليل الناقد الأدبي، المغرب، الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي،ط3.
[12]-ينظر وغليسي يوسف: (2002)، مرجع سابق.
[13]-ينظر المرجع نفسه (2002).
[14]- عبد الحليم عطية أحمد: (2008)،ما بعد الحداثة والتفكيك مقالات فلسفية، القاهرة-دار الثقافة العربية،دط.
[15]- بن عودة بختي ، سنة(1999)رنين الحداثة، الجزائر- رابطة دار الاختلاف، ط1.
[16]- عبد الحليم عطية أحمد (2008)، مرجع سبق ذكره.
[17]- أحمد البنكي محمد: (2005)مرجع سبق ذكره.
[18]- المرجع نفسه، (2005).
[19]- بن عودة بختي: (2013) ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقاربة تأويلية، دمشق- سوريا، دار صفحات للنشر والتوزيع ، ط1.
[20]- بن عودة بختي سنة(1999)، المصدر السابق.
[21]- بكاي محمد: (2017) أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الإنعتاق،لبنان/كندا-دار الرافدين،ط1.
[22]- الزين محمد شوقي (2008): الإزاحة والاحتمال صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، الجزائر- منشورات الإخلاف ط1.
[23]-المرجع نفسه (2008).
[24]-.الذهبي اليوسفي:(2016) الأدب والإيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الجمهورية التونسية ،الدار المتوسطية للنشر،ط1،
[25]- ساتيك نيروز: (شتاء2018) "مراجعةكتاب أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الإنعتاق لمحمد بكاي"، مجلة تبين، العدد6/23 ، ص129- 134 .
[26]- بن عودة بختي (1999)رنين الحداثة المصدر السابق.
[27]-عبد الغفار رشاد(2004): الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، القاهرة،مكتبة الآداب ،دط1.
[28]- بن عودة بختي (1999)رنين الحداثة المصدر السابق.

[29]- بلحسن عمار: (1991)"من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة"، مجلة التبين، الجزائر، العدد الرابع،ص7-8

[30]-المرجع نفسه، ص8-9.

[31]- المسكيني فتحي : (2011)، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة ، بيروت-لبنان، جداول للنشر والتوزيع،ط1.

[32]- بن عودة بختي (1999) المصدر السابق.

[33]- المصدر نفسه.

[34]-رولان بارت:(2000) الكتابة في درجة الصفر، ترجمة محمد نديم خشفة، حلب-سورية،الإنماء الحضاري،ط1.

[35]-مهيبل عمر:(1428ه-2007م)، من النسق إلى الذات ،الجزائر ،الدار الغربية للعلوم-منشورات الاختلاف،ط1.

[36]- بن عودة بختي ،(1999)، المصدر السابق.

[37]- المصدر نفسه.

[38]- عبد الحليم عطية أحمد(2008)، مرجع سبق ذكره.

[39]- إيجلتون تيري ،(1996)، أوهام مابعد الحداثة ،ترجمة منى سلام، مراجعة سمير سرحان ،القاهرة، مركز اللغات والترجمة -أكاديمية الفنون،دط.

[40]-ينظر مهيبل عمر،(1428ه-2007م)، مرجع سبق ذكره.

[41]- إيجلتون تيري ،(1996)المرجع السابق.

[42]-مهيبل عمر، المرجع السابق،(1428ه-2007م).

المقالات:

-ساتيك نيروز: (شتاء2018) "مراجعةكتاب أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق لمحمد بكاي"، مجلة تبين، العدد6/23 ، ص129-134.

- بلحسن عمار: (1991)"من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة"، مجلة التبين،الجزائر، العدد الرابع،ص7-9.